التفهم الإنسانى:
جسر الوصول إلى الآخر للنفع والضرر

شحاتة زيان*

مرت محاولات التوصل لتفسير مرض عن العلاقات المتشابكة بين الذات والآخر بطريق طويل من التحولات والإسهامات من مختلف الأطر الفكرية والعلوم، فقد كان تفسير تلك العلاقة هاجسًا لكل المفكرين، والعلماء منذ فترات العلم الأولى، مما دفعهم لتبنى كثير من المفاهيم النظرية التفسيرية التى تحاول الوصول لذلك التفسير، ومن بين تلك المفاهيم مفهوم "التفهم" الذى بدأ فى سياقات غير اجتماعية، ونفسية، وانتقل إليهما للوصول لتفسيرات مقنعة، والذى سار فى رحلة طويلة من التعامل معه، بدءًا من الجذور البيولوجية وحتى الجوانب النفسية العميقة التى تحاول الربط بينه وبين الدفع لنفع الآخر الإنسانى وضرره، وتهدف هذه الورقة لتوضيح الجهود المختلفة فى رحلة هذا المفهوم، وتفسيراته المختلفة، وحتى المحاولات التطبيقية له فى الميادين الاجتماعية والجنائية.

مقدمة

كان الوصول إلى الآخر عقبة كبيرة أمام الباحثين منذ القدم، فالأفكار الاجتماعية ترشدنا إلى الاهتمام الباكر فى الحياة الإنسانية بمعرفة الآخر المتفق والمختلف، إلا أن وسيلة الوصول لتلك المعرفة لم تكن- على منطقية الكثير منها- إلا مجرد تأملات واستنتاجات عامة، حتى أتى منتصف القرن العشرين، وبدايات الواحد والعشرين، حيث قدم التقدم العلمى، فى مجالات إنسانية متعددة، خاصة فى السنوات الأخيرة، يد المساعدة الكريمة لتجسير العلاقة بين الأنا والآخر على مختلف مستوياتها وللوصول الأيسر لفهم ما لدى الآخر من معارف ومهارات وإمكانات.

* أستاذ مساعد علم النفس، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث والخمسون، العدد الأول، يناير ٢٠١٦.

وتمثل التطورات التى حدثت لمفهوم التفهم Empathy إحدى أكبر المحاولات لتجسير تلك الفجوة بين الأنا والآخر، إيجابياتها وسلبياتها، وفى هذه الورقة نقدم رؤية عامة لمختلف التطورات اللغوية والنفسية والبيولوجية والاجتماعية لما طرأ على تلك العلاقة والتى أنشأتها التطورات فى مفهوم التفهم، وعلاقته بالجوانب الإيجابية ودوره فى إحداثها، وكذلك الجوانب السلبية ودوره فى المساعدة على اقترافها.

يمثل التفهم Empathy أحد المتغيرات الرئيسية التى يعتقد على نطاق واسع أنها مسئولة عن صدور السلوك الاجتماعى الإيجابى بشتى صوره *، وهو ما يجعل منه مفهومًا مركزيًا فى دراسة السلوك الاجتماعى عمومًا، والسلوك الاجتماعى الإيجابى بوجه خاص، وحديثًا عند الحديث عن السلوكيات السلبية واقتراف الشرور[١].

وتبدو أهمية التعريفات اللغوية عند النقل من لغة إلى لغة أخرى لذا فتعريف التفهم فى اللغة العربية واستخداماته تقربنا مما نريد توضيحه بشأنه، ولهذا نجد تعريفات:

(فهم) الفهم: معرفتك الشيء بالقلب. فهمه فهماً وفهماً وفهامة: علمه. وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلاناً وأفهمته؛ وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء. ورجل فهم: سريع الفهم[٢]. وفهم فهماً أى علمه، وتفهم الكلام أى فهمه شيئاً فشيئاً[٣]، والفهم حسن تصور المعنى، أفهمه الأمر: أبانه له ووضحه[٤].

* الأصل اللغوى فهم فهمًا أى علمه، وتفهم الكلام أى فهمه شيئًا فشيئًا (مختار الصحاح ص ٥١٣)، الفهم حسن تصور المعنى، أفهمه الأمر أبانه له ووضحه.(المعجم الوجيز ص٤٨٣). وقد تم التعامل مع المصطلح فى اللغة العربية بمسميات مختلفة فنجده مشاركة وجدانية عند حامد زهران (١٩٨٧)؛ وتعاطف عند جابر عبد الحميد، وعلاء كفافى (ج.٣، ١٩٩٠) وعدلاه فى طبعات معجمهما بعد ذلك إلى تفهم، ونجده تقمصًا وجدانيًا عند أحمد زكى بدوى (١٩٨٦)، و"تقمصا" عند أحمد الشافعى (١٩٩٦)، ونجده "اعتطافًا "لدى كمال الدسوقى فى زخيرة علوم النفس (١٩٩٦)، فى حين فضل جلال الدين الغازى (١٩٩٩) أن يعرب اللفظ الأجنبى فسماه "الإمباثية".

والأمر هنا يدعو للتوضيح، حيث إن فهم الشيء لا يكون إلا بكليته وليس بجزئيته أى بمكوناته الظاهرة للآخر من حيث الوجدان، والانفعالات والتصرف الحكيم أو التوتر والقلق أو تقدير لقراراته، ودوافعه، لاتخاذها وغيرها وهو ما تتفق عليه القواميس العربية الاصطلاحية سابقة العرض، وهو ما يعنى أن سك مصطلح تفهم وهو لفظ افتعال لوصف ما يحدث من عمليات داخل الذهن البشرى والموجهة نحو الآخر، وهو وصف مناسب تماماً لاكتمال الفهم وتمامه لهذا الغرض.

وفى القواميس المتخصصة فى العلوم الاجتماعية، وعلم النفس نجد تعريفات متعددة حيث يعرفه "أحمد زكى بدوى"، ١٩٨٦، بأنه "التقمص الوجدانى، وهو قدرة الفرد على تقمص مشاعر الآخرين، أى فهم دور شخص آخر أو القيام به دون أن يفقد هذا الفرد شعوره بذاته فتعرف الأم حاجات ومشاعر طفلها الرضيع الذى تكون على اتصال به، وقد ينطوى التقمص على مشاركة الآخرين انفعالاتهم دون التعاطف معهم، والتقمص هو أساس التطابق أو التوحد مع الغير وفهم نفسيتهم"[٥].

أما فى قاموس الشامل فتعنى تقمص عاطفى: أثر فى الذات يتركه شخص آخر، وفهم سلوك الآخرين فى ضوء الخبرة الشخصية للفرد، وقدرة الشخص على أن يضع نفسه مكان فرد آخر، بطريقة تخيلية أى قدرته على أن يفهم دور الشخص الآخر بدون أن يفقد موضوعيته[٦].

كما عرفه كل من "جابر عبد الحميد، وعلاء كفافى" (١٩٩٠) بأنه "الوعى الموضوعى بأفكار ومشاعر شخص آخر والمعانى التى تتضمنها هذه المشاعر والأفكار، وعى يؤكد مواصلة موضوعية، ويفصل المشاعر حتى حينما يواجه بأمور نفسية مزعجة " [٧]

أما تعريفات الخبراء النفسيين فنجدهم يتنوعون فى تعريفات التفهم فنجد "دانيال بارتال",Bar-Tal، ١٩٩٠، يعرفه على أنه استجابة وجدانية لحالة شخص آخر، ويستثار بسوء حظ هذا الآخر ليدفع الفرد نحو التصرف إيثاريًا، للتقليل من كربه، وفى بعض المواقف يسعد الفرد ليعوض عن أذى تم اقترافه[٨].

أما "ستوب" ١٩٧٩، فيعده من ضمن الدوافع المهمة للتصرف إيجابياً فى المواقف الاجتماعية حيث يعرفه على أنه الخبرة المناوبة عن مشاعر الآخر؛ فالخبرة المناوبة عن كرب الآخر، واختزالها وإنقاصها المتوقع، أو الرضا و الفرح المتوقعان اللذان يخبرهما الشخص الآخر يعد دافعًا للفرد كى يتصرف اجتماعيًا بشكل إيجابى، وبرغم التفرقة الحادة بين التفهم من ناحية، والقيم والمعايير من ناحية أخرى، فإن استثارة التفهم بسبب الظروف المحيطة تعتمد على توجه الفرد نحو الآخرين، وعلى إيمان وقيم يقوداه لتفسير الأحداث بطريقة معينة، والشعور بالتوحد Identification مع الآخرين، وبهذا يتدخل تقييم Assessment الآخرين ورفاهيتهم كشرط مسبق على استثارة التفهم، وهذا هو التوجه الاجتماعى الإيجابى[٩]. وقد سأل "هوجان Hogan" عند قيامه بتكوين مقياسه عن التفهم كلاً من: العامة والأخصائيين النفسيين عن وصف الشخص الأكثر تفهماً فوجد اتفاقاً بينهم على صفات مثل:

(أ) مهارات اللعب الخيالى. (ب) الوعى بالانطباعات التى يتركها الفرد على الآخرين.

(ج) القدرة على تقويم دوافع الآخرين. (د) الاستبصار بدوافع المرء وسلوكه.

(هـ) القبول الاجتماعى[١٠].

أما "ديفيد ماتسوموتو"Matsumoto فيعرف التفهم بأنه:١- القدرة على فهم وجهة نظر الشخص الآخر، الأمر الذى يشاركه مناوبًا فى المشاعر والأفكار والتصورات. ٢- عملية ممارسة أفكار ومشاعر، وإدراكات، وتصوّرات شخص آخر. ٣- نموذج للتواصل بين فردين يشتركان فى تناغم شخصى يتميز بأنه غير لفظى ومغطى[١١].

الجذور اللغوية للتفهم فى اللغات الأوروبية

نظرًا لتأثر الباحثين العرب بما يوجد فى التراث النفسى الغربى عمومًا والإنجليزى، والأمريكى على وجه الخصوص، والذى يؤثر فى تعريفاتهم المختلفة للمفاهيم فإن، من الأولى معرفة ما إذا كانت أصول هذه المفاهيم متجانسة ومعروفة أم لا، بحيث إذا ما

تصدينا لمفهوم معين عرفنا كيف سار من أصله إلى أن وصلنا، فربما دلنا على تفرقة مهمة بينه وبين غيره من المفاهيم.

وبصدد مفهوم التفهم، يشرح "باش Basch"، ١٩٨٣، الجذور اللغوية (الإتمولوجية) للتفهم فى معرض حديثه عن دور التفهم فى عملية التحليل النفسى، والتواصل العاطفى بين الناس، فجذور المصطلح Empathy ترجع للكلمة الألمانية Einfuhlung والتى تعنى قدرة الشخص على المعرفة بشكل أساسى عن خبرة شخص آخر، والتحدث عنها. مثلما يقال بالإنجليزية" المشى فى حذاء شخص آخر. وقد صك " تتشنر" المصطلح الإنجليزى Empathy للتعبير عن نفس المعنى الألمانى Einfuhlung، ومترادفاته مثل: sich hineinversetzen أو وضع الذات فى مكان الآخر، و Fremdwarhernehmung أو معرفة الآخر أو الغريب. فهى معرفة بالآخر وفهم له كله وما يحتويه وليس بشكل محدود فى خبراته الانفعالية الوجدانية. فالترجمة الشائعة للمصطلح ك "شعور مع" يؤكد معنى الرنين الوجدانى مع الاستبعاد والإقصاء للاستنتاج، والحكم وجوانب الاستدلال الأخرى التى من الأهمية بمكان بحيث تكافئ الأصل الألمانى Einfuhlung، ومن هنا فقد قادت ترجمته لـ Empathy إلى خلط بين "الشعور مع، أو يرق لـ ويشفق على Feeling with" وبين المعنى الأوسع "الشعور فى، أو، إلى، أو نحو"Feeling into مثل البحث عن طريق لخبرة الفرد الآخر بدون تحديد أو تخصيص الوسيلة التى سيظهر بها، وبالتالى فالهدف هو الوصول إلى فهم الشخص الآخر بمشاركته فى خبرة مشاعره. ومن الجدير بالذكر أن المقطع الأول "-em"أو-in" فى الكلمة اليونانية تعنى فى أو بداخل، والمقطع الأول "-sym أو -syn" هو المكافئ لـ مع، أو معًا، ولهذا فالترجمة غير الدقيقة الشائعة للتفهم Empathy قادت لفقد التمييز المهم بين التفهم والتعاطف Sympathy (١٢).

ويتفق "جلال الدين غازى" ١٩٩٩، إلى حد كبير مع هذا التصور عند عرض مفهوم التفهم الذى ترجمه إلى "الإمباثية" عند حديثه عن مهارات الممارسة فى العمل

الاجتماعى، ونقل عن "إفيلين شولمان" ما ذكرته عن أن الفرد المتسم بالإمباثية يستطيع النفاذ إلى العالم الذى تختص به حياة شخص آخر. ويتيسر له الإحساس بحقيقة مشاعر غيره من الناس عند المرور بتجارب تشبه إلى حد كبير الخبرات التى مر أو يمر بها الآخرون(١٣).

ويحدد "مارتن هوفمان" ١٩٨٢، ست حالات لإثارة التفهم تختلف فى درجة الإدراك والمعرفة التى تتضمنها فى نوع التنبيه الظاهر للعيان (مثل .. الوجهى، والموقفى، الرمزية) وفى كم ونوع الخبرة السابقة المتطلبة وهى ميكانيزمات بسيطة ومحددة مثل:

(١) البكاء التفاعلى للوليد . (٢) الاشتراط الكلاسيكى. (٣) الترابط المباشر.
(٤) الممكرية (التقليد) أو التنكر البيئى. (٥) الترابطية الرمزية.
(٦) أخذ الدور(١٤).

ويعلق "دانييل لابسلى Labsley" على الثلاث حالات الأولى بأنها حالات وميكانيزمات ولادية، فطرية، غير متعلمة متضمنة فى الطبيعة الإنسانية ربما بسبب قيمتها فى الحفاظ على حياة الإنسان(١٥).

ويأتى دور الخبرة الذاتية للتفهم التى لا تخلو من تعقيد، فتراث التفهم يقف عند فكرة أن المشاهد يشعر مناوبةً عما يشعر به النموذج خلال الخبرة المباشرة، وهذا مظهر أساسى للتفهم، ويرتقى تفهم الكرب بالتدريج لتكوّن وارتقاء الحس المعرفى بالآخر، فالخبرة الذاتية تتأثر بالارتقاء المعرفى عبر مراحل أهمها:

(١) فى العام الأول يخلط الأطفال بين ذواتهم والآخرين .
(٢) فى الشهر الثانى عشر يصبحون على وعى بأنهم مختلفون ككيانات جسدية عن الآخرين.
(٣) خلال العامين الثانى والثالث يكتسب الأطفال حسًا بدائيًا بالآخرين ككيانات لها أفكارها ، وإدراكها، ومشاعرها، منفصلة عن ذاتهم ومستقلة عما لديهم.

(٤) مع نهاية الطفولة وبداية المراهقة يصبحون واعين بالآخرين كحاملين لهويات، وخبرات حياتية فيما وراء الموقف الحالى[١٦].

وللتفهم مكون وجدانى يخبره الطفل كلما ارتقى، ويعرض "هوفمان"، لمستويات تفهم الكرب، وهى مستويات يفترض تدخُل تفهم الوجدان مع الحس المعرفى بالآخر فى تكوينها وهى:

(١) المرحلة الأولى: التفهم الكلى Global Empathy: من العام الأول ربما تُظهِر للعيان موجهات الكرب من الآخرين استجابةً كليةً لتفهم الكرب.

(٢) المرحلة الثانية: التفهم المتمركز حول الذات: وتتأسس بوضوح عندما يعى الطفل بشكل كامل بأن الذات والآخرين كيانات بدنية متميزة تمامًا، ويصبح للمرة الأولى قادرًا على المرور بخبرة تفهم الكرب، مع الوعى بأنه الفرد الآخر وليس الذات هو الضحية ، ولم يزل الأطفال غير مميزين تمامًا بين الحالات الداخلية التى يمرون بها والحالات الداخلية للآخرين، ولهذا فهم يخلطون أحيانًا بينهما.

(٣) المرحلة الثالثة: تفهم مشاعر الآخرين: مع بداية مرحلة المقدرة على أخذ الدور فى السنتين الثانية والثالثة، يصبح الأطفال واعين بأن مشاعر الآخرين ربما تكون مختلفة فى بعض الأحيان عما لديهم من مشاعر، وأن مناظيرهم ورؤاهم تستند على حاجاتهم وتفسيراتهم للأمور، والأهم من ذلك، هو وعى الأطفال بأن العالم الواقعى وإدراكهم له ليسا نفس الشيء، وأن مشاعر الآخرين مستقلة عن مشاعرهم، وأصبحوا أكثر استجابية للموجهات Cues المرتبطة بمشاعر الآخرين.

(٤) المرحلة الرابعة: تفهم ظروف حياة الآخرين: فى نهاية الطفولة ومع امتلاك المفاهيم الناشئة عن الذات والآخرين كأشخاص مستمرين، ذوى تاريخ، وهويات منفصلة، يصبح الفرد واعيًا بأن الآخر لديه مشاعر فيما وراء الموقف الحالى، يترتب على ذلك – بالرغم من استمرار الفرد فى أن يستثار– تفهمه لكرب الآخرين الآنى أو الحالى، فربما يزيد ويركز الاهتمام التفهمى Empathic

Concern لدى الفرد عندما يعلم أن كرب الآخرين مزمنا وليس طارئًا. ونتيجة لذلك فيتكون هذا المستوى الرابع من الوجدان (الأسى النفسى) المثار بالتفهم لديه، ومشتركاً مع تصوره عن ظروف حياة الآخر عامةً (المستوى العام للكرب، أو الحرمان، و الفرص المتاحة و غير المتاحة، وتوقعات المستقبل) ... إلخ(١٧).

ويعلق "لابسلى" على هذه المراحل المتتابعة التى اقترحها هوفمان أنها تظهر إلى أى حد تتوسط العوامل المعرفية فى إظهار استجابة التفهم الوجدانية(١٨). كما ترى "تانسى أيزنبرج" وزملاؤها ١٩٨٩، أن التفهم ينبع من فهم Apprehension الحالات المزاجية للآخر أو حالاته عموماً، وهو مشابه تماماً أو متطابق مع ما يشعر به الفرد الآخر أو ما يتوقع أن يشعر. وتربط "أيزنبرج" وزملاؤها بين التفهم والتعاطف Sympathy على أساس أنهما من المفاهيم المتقاربة أو التى تستخدم أحيانا بنفس المعنى، وإن لم تكن بنفس المسمى. وترى أن التفهم عادة ما يقود لاستجابات مناوبة أخرى إلى جانب التعاطف، مثل الكرب أو الضيق الشخصى Personal Distress، ولهذا تفرق بين التعاطف والتفهم على أساس أن التعاطف يمثل الاستجابة الوجدانية التى عادة ما تثار وتقدح بواسطة التفهم وتتكون من مشاعر من الحزن أو الاهتمام بكرب وحاجات الآخرين، فالتعاطف عادة ما ينشأ عن تفهم المشاعر الحزينة، كما تشير "أيزنبرج" وزملاؤها ١٩٩٨ إلى أن كلا من التفهم والتعاطف وحتى الكرب الشخصى يكون نتيجة للقدرة على أخذ المنظور المعرفى للآخرين(١٩).

ويوجه "دانييل جولمان" Golman ١٩٩٨، النظر إلى أن هناك فروقًا بين الذكور والإناث فى التفهم خاصة فى الثقافة الغربية؛ فالنساء أكثر تفمهًا بمعنى أنهن أكثر شعورًا بحالات الكرب والفرح، حيث تشير نتائج البحوث إلى أن النساء يفعلن ذلك بشكل تلقائى وذلك بمشابهة حالات الآخر الانفعالية، وكذلك فهن أكثر تبينًا، وترصدًا Detection لمشاعر الآخرين على مقياس (بروفيل الحساسية غير اللفظية PONS)، ولم تكن هناك فروق جنسية عند التعامل مع خبرة الإحساس بأفكار وتساؤلات معينة لدى الفرد (بماذا يفكر الشخص) (٢٠).

علاقة التفهم بالسلوك الاجتماعى الإيجابى

هناك معنيان شائعان فى البحوث التى تتعامل مع التفهم فى علاقته بالسلوك الاجتماعى الإيجابى وهما:

(١) مفهوم معرفى: يتمثل فى تعرف الأطفال على حالات المشاعر لدى الآخرين.

(٢) مفهوم وجدانى: يتمثل فى استثارة المشاعر المناوبة أو البديلة عنVicarious الشخص الآخر والاستجابة لحالته[٢١].

ويشير"لابسلى"١٩٩٦، إلى أن الموقف بهذا الشأن المتنوع بشدة فى حاجة إلى إضافة شيء ما، بالإضافة إلى، أو بدلاً من التفهم للتوسط بين الإيثار، أو السلوك الاجتماعى الإيجابى. والمرشح لذلك هو الإحساس بالمسئولية الشخصية فقد تم التنبؤ بسلوك المساعدة ليس عن طريق التفهم، ولكن عن طريق العزو السببى Attribution للذنب فقد أثبت "تشابمان" وزملاؤه "أن السلوك الاجتماعى الإيجابى لا يُدفع فقط بمضاهاتنا لمشاعر الآخرين (تفهم السمة)، ولكن برغبتنا وميلنا للشعور بالمسئولية الشخصية عن رفاهة الآخر وسعادته"، ودلت نتائج بحوثهم على أن الشعور بالمسئولية الشخصية لا يطبق على سلوك المساعدة فقط، فقد وجد "ماريواما" وزملاؤه تأثيره على أشكال أخرى للسلوك الاجتماعى الإيجابى، كالعطاء Donating والمشاركة. ولهذا فبلا مصاحبة الشعور بالمسئولية، ربما يكون التفهم غير فعال فى دفع الإيثار، علاوة على ذلك فالأطفال الذين تربوا على الشعور بالمسئولية عن الأشخاص ذوى الحاجة، يميلون لأن يقوموا بتعويضات عن إيذائهم لهم، وكذلك للاستجابة المتزايدة من السلوك الاجتماعى الإيجابى نحو المكروبين من الآخرين[٢٢].

وقد توصل "باتسون" وزملاؤه ١٩٩٧، عبر دراسة استخدمت ثلاثة مقاييس لإندماج Merging الذات مع الآخر، إلى أن حالات التفهم المستحثة أو المستثارة Induced انتجت حالات من اندماج بين الذات والآخر Self-Other Merging، الأمر الذى وجدوا معه أن ذوى درجات التفهم العليا لم يقدموا مساعدات أكثر من

غيرهم من ذوى الدرجات الأقل والمتوسطة مما قد يرجح فرضية أن الفرد فى هذه الحالة فى حالة لا يفرق فيها بين الذات والآخر وأصبحوا يخبرون مباشرة ما يخبره الآخر، فهم يخلطون بين الذات والآخر، ويعتبرون الآخر هو الذات، وذلك لأنهم يوسعون من حدود الذات لتضم إليها الآخر، أو يقللون الفارق أو التمييز بين الذات والآخر. وقد قارن "باتسون" وزملاؤه بين نتائجهم والنتائج التى خرج بها "شيالدينى" وزملاؤه ١٩٩٧والذى يقولون فيها بأن علاقات المساعدة ترجع إلى حالة الاندماج بين الأنا والآخر فى وحدة واحدة Oneness، أكثر مما ترجع للإيثار مما يجعل "باتسون" يقول إن نتائجه تتفق مع نتائج "شيالدينى" وليس مع ما انتهى إليه من استخلاصات. وقد كانت نتائج "شيالدينى" تقول إن المساعدة من ذوى الدرجات العليا من التفهم موجه إلى الأكثر حاجة، والأقربين منهم، كذلك وجدوا أن علاقة القرب تقود إلى درجة عالية من تضمين الآخر فى الذات Inclusion of other in self (IOS) (٢٣).

ونضرب مثالاً على علاقة التفهم بالتسامح كأحد الأشكال الإيجابية من السلوك علاقة التفهم بالتسامح، حيث يشيع عدة معان فى البحوث التى تتعامل مع التفهم فى علاقته بالسلوك الاجتماعى الإيجابى والتسامح بوصفه جزءًا منه وهما:

(١) مفهوم معرفى: يتمثل فى تعرف الأطفال على حالات المشاعر لدى الآخرين. وهنا يدخل عنصر معرفى متداول فى علم النفس تحت مسمى تحمل الغموض Tolerance of Ambiguity، فالمنبهات التى يتعرض لها الفرد كى يتفهم شخصًا آخر متنوعة ومتعددة بل فى كثير من الأحيان مضللة، وتخلق حالة من الغموض فمن كان لديه تحمل لهذا الغموض يستطيع فى النهاية تكوين صورة ذهنية يتخذ على أساسها قرارًا مناسبًا، أكثر ممن ليس لديهم هذه المقدرة.

(٢) مفهوم وجدانى: يتمثل فى استثارة المشاعر المناوبة أو البديلة Vicarious عن الشخص الآخر والاستجابة لحالته[٢٤].

(٣) مكون ثقافى: يتضمن فهم العادات والتقاليد التى يمارسها أفراد من جماعات عرقية مختلفة يتعامل معها ويقدر خصائصها الوجدانية والمعرفية، والثقافية، والقيمية وبالتالى، يحسن التعامل مع ما تؤسس عليه أفرادها. وقد وجدت كل من "نانسى ايزنبرج" و"ميلر" ١٩٨٧، فى بحثهما باستخدام أسلوب التحليل البعدى Meta-Analyses أن العلاقة إيجابية بين السلوك الإيثارى ومختلف مؤشرات التفهم Indices، تتراوح قوة العلاقة بين [٠.٠١إلى ٠.٣٦]، وتختلف باختلاف أساليب التقدير والقياس، وكذلك باختلاف أعمار العينات، وكانت العلاقة ضعيفة بين الأطفال وقوية لدى الراشدين[٢٥].

ويجيب "فاريس" Phares على السؤال كيف يعمل التفهم؟ بأن له دورًا مهمًا فى الحفز على الإيثار، حيث يتضمن تفهم الشخص: دوافع للمساعدة لذوى الحاجة، فإذا مر بخبرة محزنة مثلاً فبالتأكيد يدفع لتقليلها، وإذا كان لدى الفرد تفهم لشخص آخر يمر بخبرة محزنة، ومن ثم سوف يمر بهذه الخبرة المحزنة نيابة عنه بدرجة ما، ولهذا سيكون لديه رغبة فى تخفيفها (أى الاستجابة الإيثارية) وعند طلب المساعدة يتحايل الكثير لاستثارة الاستجابة التفهمية[٢٦].

وقد وجد كل من "كارين ليث" و"روى بوميستر"١٩٩٨، أن الأفراد المعرضين للشعور بالذنب أحسن فى اتخاذهم للمنظور[٢٧].

ولذلك يمكن النظر فى علاقة التفهم بالتسامح على أنها علاقة شبه تلازم فى الحضور والعدم، وتقترب من وصف المسبب إذ أن الفرد المتفهم يمكنه تصور حالة الآخر (اتخاذ منظور، ودور، والشعور بما يشعر، وتقدير دوافعه، وإحساس بما لديه من تراث ثقافى)، وبالتالى يكون أقدر على تقدير حالته والنظر فى شأنه بقدر كبير من الدقة مما يساعده على تجنب نزعاته الوجدانية غير الحميمية، عند التعامل معه،

وتقدير ظروفه عند الإساءة، وبالتالى مسامحته، والتسامح مع هفواته، وتنوعات سلوكه.

ويرى الباحث أن الفصل بين مكونات التفهم Empathy (الوجدانية، والمعرفية) غير مفيد لأن العملية التى يتم بها السلوك عملية مركبة متفاعلة ومتكاملة حتى يصدر السلوك، وما أن يصدر سلوك ما من الفرد (داخليا) تتحرك عوامل أخرى (موقفيه، واجتماعية) لاستكمال المهمة، وفى كل مرحلة من الفعل تتم عملية تقويم لتقرير ما إذا كانت هناك جدوى من الاستمرار فى الفعل (القيام بالمساعدة مثلاً) أم لا. ولهذا يرجى الانتباه للفرق بين التفهم كعملية متكاملة لفهم وتمثل حالات الآخر بدرجة ما (تتوقف على ما لدى الفرد من استعداد فطرى من التفهم والعمليات المعرفية والانفعالية الصغرى المكونة له)، وبين التعاطف Sympathy، الذى عادة ما يأخذ جانبًا وجدانيًا أساسًا، وفى هذا الجانب يغلب عليه الحزن والأسى لحالة الآخر بلا تقدير عام وتفهم شامل للحالة التى عليها الفرد الآخر ودوافعه. وأن التفهم قد يثير قرباً ويخلق مجالاً مشتركاً بين الأقرباء، مما يساعد على الإفصاح عن الذات ودرجة أكبر من التشابه، ولكن لا تصل لدرجة الدمج بين الذوات، لأن افتراض التصرف بشكل إيجابى يبنى على فرضية أن هناك ذات، وهناك آخر، ولا يوجد خلط بينهما، وأن الخلط إذا حدث يشوه الاستجابات سواء فى الصغر أو الكبر وتقل درجتها فى التقدير من وجهة النظر الإيجابية، إذ أن الفرد فى هذه الحالة يخدم نفسه ويكون (أنانيًا)، ولا يقوم بعمل يتخطى فيه الذاتية المتمايزة عن وعى بما يفعل، وبرغبة فى التصرف بشكل إيجابى مما يفرض نوعاً من التضحية.

التطورات الحديثة فى فهم التفهم

حدث تطور فى فهم آليات عمل التفهم والأسس البيولوجية التى يتأسس عليها فى العديد من الدراسات وذلك بعد انتهاج أساليب ومناهج متطورة مثل استخدام تصوير

الدماغ أثناء العمل فيما يعرف fMRI*، وغيره من مسوح الدماغ أثناء العمل مما يعطى صورة عن الأجزاء والمناطق النشطة فيه أثناء حدوث الفعل، أو سوابقه ولواحقه[٢٨].

ويفهم تطور التفهم الإنسانى على نحو أفضل بالرجوع إلى التاريخ التطورى للدماغ الاجتماعية Social Brain، فالتفهم كأساس تطورى عميق، وأساس كيميائى/حيوى، وعصبى، حتى الأشكال الأكثر تطوراً من التفهم بين البشر يتم بناؤها على الأشكال الأكثر أساسية ومستمرة فى علاقتها بالآليات "المكانيزمات" الأساسية المرتبطة بالتواصل الوجدانى، والتعلق الاجتماعى، والرعاية الأبوية. ويدلل الباحثون على أنه من الضرورى النظر إلى التفهم فى إطار الارتقاء العصبى الذى يميز بين كل من الاستمرارية والتغيير فى الفهم الانفعالى الاجتماعى socio- emotional من الطفولة إلى الرشد. وجمع الباحثون بين منظور التطور العصبى Neuro- evolutionary، والارتقائى، ومعالجة المعلومات، والآليات العصبية الكامنة وراء التفهم والرعاية، وأظهروا أنها ترتكز على أنظمة متعددة وعمليات متفاعلة، علاوة على ذلك، فالتفهم بين البشر يرتبط بتجريدات وملخصات أخرى، وقدرات معرفية عالية المستوى، ومجالات مهيمنة عامة مثل: الوظائف التنفيذية، والعقلنة Mentalizing، واللغة، مثلها فى ذلك مثل عمليات التفرقة والتمييز بين الحالات الذهنية للآخر عما لدى الفرد نفسه، والتى توسع من مجال السلوكيات التى يمكن أن تُدفع بالتفهم[٢٩].

*fMRI، أسلوب تصوير الرنين المغناطيسى الوظيفى لوظائف الدماغ. و fMRI، الرنين المغناطيسى الوظيفى (التصوير بالرنين المغناطيسى الوظيفي) أداة قوية فى دراسة وظيفة الدماغ، وتستخدم، على سبيل المثال، من قبل علماء النفس، والأطباء النفسيين، وأطباء الأعصاب. والرنين المغناطيسى الوظيفي يمكن أن يعطى تصورا عالى الجودة لمناطق النشاط فى الدماغ الناتجة عن التنبيهات الحسية، أو الوظائف المعرفية. وبالتالى فإنه يتيح دراسة كيفية عمل الدماغ السليمة، وكيف يتأثر بالأمراض المختلفة، وكيف يحاول التعافى، وكيفية عمل بعض العقاقير التى يمكن أن تعدل النشاط، أو تستعيد الشفاء.fMRI، أسلوب تصوير الرنين المغناطيسى الوظيفى لوظائف الدماغ. و fMRI، الرنين المغناطيسى الوظيفى (التصوير بالرنين المغناطيسى الوظيفي) أداة قوية فى دراسة وظيفة الدماغ، وتستخدم، على سبيل المثال، من قبل علماء النفس، والأطباء النفسيين، وأطباء الأعصاب. والرنين المغناطيسى الوظيفى يمكن أن يعطى تصورا عالى الجودة لمناطق النشاط فى الدماغ الناتجة عن التنبيهات الحسية، أو الوظائف المعرفية. وبالتالى فإنه يتيح دراسة كيفية عمل الدماغ السليمة، وكيف يتأثر بالأمراض المختلفة، وكيف يحاول التعافى بعد الأضرار، وكيفية عمل بعض العقاقير التى يمكن أن تعدل النشاط، أو تستعيد الشفاء بعد الضرر.

ثم أتى فتح علمى جديد لفهم آليات عمل التفهم والأسس البيولوجية له، وذلك عبر اكتشاف عمل الخلايا العصبية المرآوية Mirror Neurons على ساحة الدراسات العلمية العصبية فى عام ١٩٩١، عندما لاحظ عالم الحيوان الإيطالى "جياكومو ريزولاتى" Rizzolatti، أن الخلايا العصبية تضطرم (يتغير لون نشاطها) عندما كانت القرود تراقب نشاطاً ما أثناء حدوثه، وهى ذاتها تضطرم أيضاً عندما تقوم القرود أنفسها بالنشاط نفسه. وهكذا، تنشط هذه الخلايا عند مشاهدة الحيوانات شيئا يمكن استيعابه، كما تنشط عندما تدرك وتمارس ذلك الشيء بالفعل بأنفسها. فمشاهدة سلوك ما بشكل سلبى، والقيام بنفس نشاط ذلك السلوك يتم تنشيطها من خلال نفس الخلايا العصبية، من هنا تصبح المراقبة متشابكة مع الفعل وبالتالى، فلن يكون ذلك سلبيا على كل حال. وسرعان ما أصبح واضحا أن نفس الشيء يحدث مع البشر مثلما يحدث مع القرود كما أوضح الباحثون، فكما هو الحال مع القرود، لا تنتهى مشاهدة السلوك البشرى عند حد المشاهدة، لكنها تذهب لإعادة التمثيل ثانية، أو للمحاكاة من قبل "قوالب"، تقع فى المقام الأول فى القشرة الحركية فى الدماغ، ومناطق أخرى منه أيضا. ثم أضيف بُعد آخر إلى الخلايا العصبية المرآوية عندما وجد الباحثون أن الخلايا العصبية النطاقية الأمامية The Anterior Cingulate، والتى تتنشط عادة عندما يعلق فرد ما فى (دبوس)، فإنها سوف تنشط أيضاً عندما يراقب الشخص (مجرد مراقبة) شخصًا آخر يعلق، وبالتالى، فإننا نختبر حرفيا. بدرجة ما. فى ذواتنا تلك الإجراءات والأفعال التى نراها فى الآخرين. وقد أطلق "داماسيو"(1994) Damasio على ذلك: "البعد التفهمى"Empathetic Dimension"، ويعمل كحلقة (لوب كما- لوAs-if-Loop)"، وهذا يوسع من الأنشطة مثل مجرد إجراء قبض اليد كنشاط حركى بسيط، أو استيعاب كائن لمراقبة المشاعر الإنسانية، والإيماءات، والأحاسيس، وحتى الاستماع إلى حديث الآخرين، كما تظهر حكمة المشاعر عندما نرى شخصًا ما يغوص فى مشاعر الحزن ويبدأ فى البكاء، فإننا نخبُر بعضًا من هذا الشعور فى أنفسنا، وكذلك حكمة الأحاسيس، عند مشاهدة

عنكبوت يتسلق على فخذ شخص ما فسوف يعطى ذلك لمعظمنا شعورًا عميقًا بالزحف على أجسادنا[٣٠].

ويوضح الشكل التالى رقم (١) مسارات عمل الخلايا المرآوية فى علاقتها بالخلايا الحركية فى الدماغ وهو الأمر الذى أثبته "لاكوف وجونسون"(١٩٩٩) من أن الفلاسفة التحليليين وما بعد الحداثيين قد تجاهلوا ثلاث حقائق أساسية عن الدماغ، وبالتالى يفتقرون لأرضية صلبة؛ هذه الحقائق هى: (١) أن العقل هو مضمن بطبيعته، (٢) أن التفكير معظمه من اللاوعى. و (٣) أن التفكير التجريدى إلى حد كبير (ليس تماما) مشيد من الاستعارات المأخوذة من عوالمنا السلوكية. ويُؤمَل فى أن اتجاه التفاعل الرمزى، مع جذوره الراسخة فى البراجماتية، وبحكم أنها متوافقة مع المعرفة الحالية لأدمغتنا، يؤمل ألا يكون من الضعف بحيث يكون عرضة لنفس الانتقادات من الفلسفات التحليلية وما بعد الحداثية[٣١].

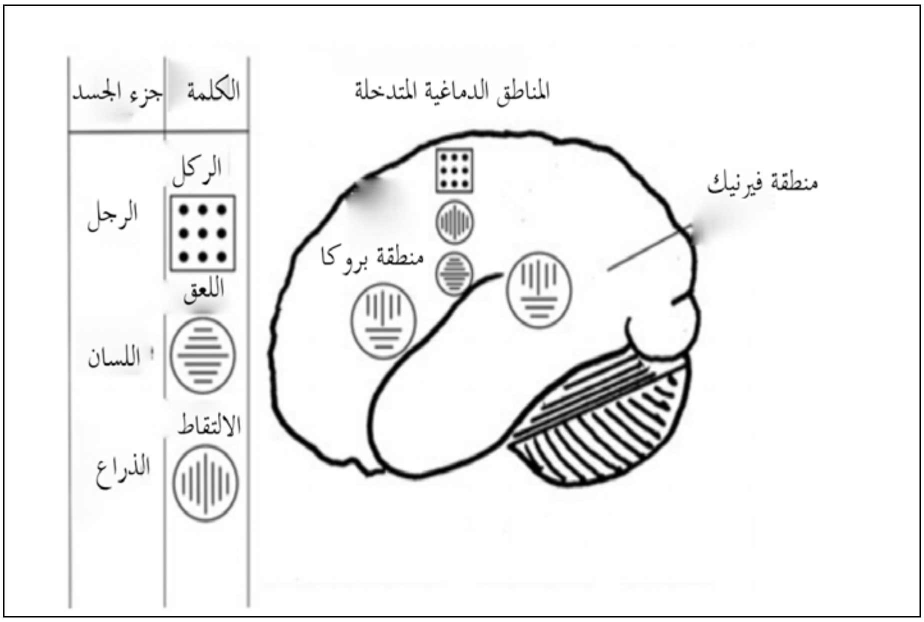

شكل رقم (١)

مناطق الدماغ الحركى المشتركة مع معانى الكلمات المتضمنة لتلك الأفعال

وهذا النظام معقد للغاية، ويتضمن وظيفيا الأنشطة المعرفية، والحسية، والإدراكية، والحركية – أى جميع العمليات التى ينطوى عليها الإدراك، وكذلك النشاط الحركي. وهيكليا، ينعكس هذا التعقيد بمناطق الدماغ المختلفة، فإعطاء الأولوية للسلوك الحركى عن طريق الخلايا العصبية المرآوية يوفر اتصالاً حميمًا بين العمل الحالى على الخلايا العصبية المرآوية، والنظرة العملية فى الحياة كما بيَّن الفلاسفة الأمريكيون (البراجماتيون الأمريكيون السابقون)، وربما يصبح هذا الاتصال أوضح فى مفهوم نتائج إمكانيات الفعل Affordances، وكيف أن معنى موضوع ما يكمن فى "احتمالات العمل"، وهذا يؤكد أن نشاط اليد من ناحية يتحكم فى الرؤية والعكس بالعكس؛ فنحن نعرف الآن أن الخلايا العصبية فى منطقة "بروكا" تحول الكائنات المصورة إلى أفعال، وإجراءات تتيح لليدين ويعطيها معنى عدم نقاء الرؤية بشكل عام (أيا ما كانت تلك الرؤية)، وتستجيب هذه الخلايا العصبية إلى الإجراءات و(النوايا) التى يجعل منها الكائن ممكنة، بدلا من مجرد الجانب الحسى لها. إضافة إلى أن هذه الخلايا العصبية تستجيب للمعنى السلوكى، وهذا هو بالضبط ما يعنى الفهم والاستيعاب ,Understanding، والشكل التالى يوضح تلك العلاقة [٣٢].

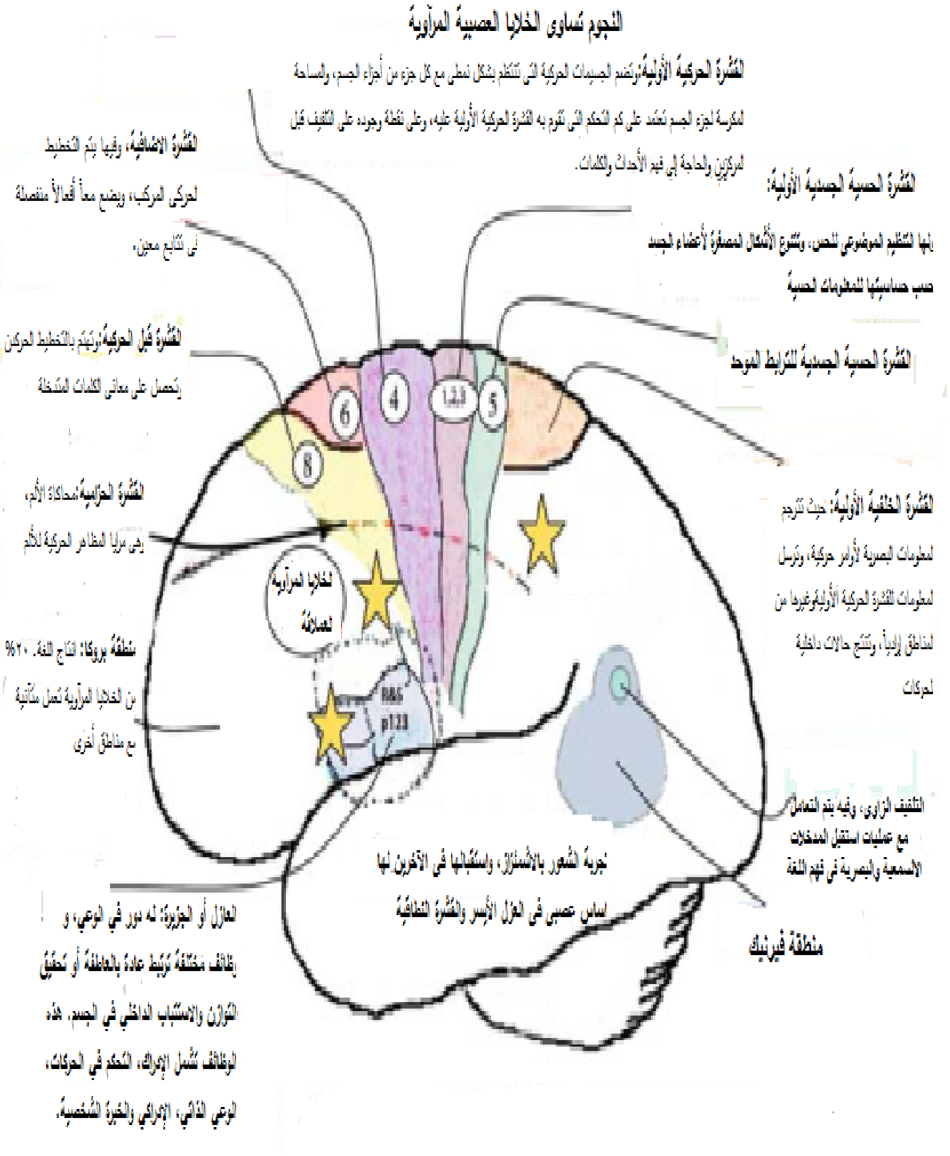

الشكل رقم (٢)

الخلايا المرآوية(*) فى علاقتها بالخلايا الحركية فى الدماغ

(*) تم تمثيل الخلايا المرآوية فى هذا الشكل بالنجوم.

ونجد من ناحية ثانية، أنه فى حين حددت دراسات تصوير الأعصاب مؤخرا سلسلة من مناطق الدماغ المختلفة بوصفها مسئولة عن التفهم، فإنه لا يزال من غير الواضح حقيقة تفعيل هذه المناطق فى الدماغ وتحديد أدوارها الوظيفية. وباستخدام أسلوب منهجى يسمىMKDA:* وهو أسلوب تحليل بعدى كمى للدماغ ككل، وهو من الدراسات الحديثة للرنين المغناطيسى الوظيفى التى أجريت على التفهم، حدد هذا التحليل مناطق: [dACC-aMCC-SMA]، فى التلافيف الثنائية الأمامية، كونها ما يتم تفعيلها باستمرار فى التفهم، وبافتراض أن هذا ما يصطلح عليه هنا بالأشكال الوجدانية، والحسية، والمعرفية التقييمية للتفهم، والتى تتميز بأنماط تنشيطية مختلفة، حيث تمت مقارنة التنشيط العصبى فى هذه الأشكال من التفهم[٣٣]. وقد أثبتت منطقة aMCC الظهرية أنها أكثر مسئولية، وبشكل متكرر عن غيرها فيما يخص الأشكال المعرفية التقويمية من التفهم، فى حين وجد أن التلافيف الأمامية تشارك فى الأشكال الوجدانية، والإدراكية الحسية من التفهم فقط. وكانت التلافيف الأمامية اليسرى نشطة فى كل أشكال التفهم. وقد استنتج أن التلافيف [dACC-aMCC-SMA]، والثنائية Bilatral يمكن اعتبارها مسئولة عن تشكيل الشبكة الأساسية فى التفهم، وأن التقييم المعرفى/ الوجدانى، والإدراكى/ الحسى، يمكن تمييزها على مستوى التنشيط فى المناطق المختلفة[٣٤].

* Multi-level Kernel Density Analysis (MKDA)، **أسلوب تحليل بعدى** Meta-analysis لدراسات كثافة النواة متعدد المستوى، أسلوب ابتكره"د. واجنر"، وتقوم فكرته الأساسية على تُتبع الخطوات التالية: ١- مراجعةَ التراث واختيار المقالات التى تقرر وجود أماكن (مناطق) محددة (جداول التنسيقات والروابط) فى الوظائف النفس حيوية ، أو مجموعة من الوظائف. ٢- إنشاء جداول مركبة تجمع بين كل الإحداثيات وما وجد من نتائج متناظرة (ويمكن أن تكون معيار أو أسلوب آخر للمضاهاة بينها) مؤدية إلى التحليل البعدى المتعدد (MKDA) لاختبار التشابه فى نتائج تلك الدراسات على تلك المناطق الدماغية، ومقابلتها بجداول عينات مونت كارلو العشوائية (الصفر التجريبىempirical null). ٣- تفسير نتائج التحليل متعدد المستوى بحيث يبنى الاستدلال الإحصائى على مناطق معينة، حيث يمكن رفض الفرض الصفرى بأمان، بعدها يتم استخدام تلك النتيجة فى سياق فهم التراث المدروس والنماذج الحالية. http://neuroelf.net/wiki/doku.php?id=mkda)

وهناك نظرة أخرى للموضوع يعرضها "جيمى بينيدا" وزملاؤه، حيث يرون أن الانعكاس المــرآوى Mirroring، مثـل: العمليـات التى تحدث على جميع المستويات لمعالجة المعلومات فى الجهاز العصبى المركزى، مما ينتج عنه التدرج فى القدرات التى تختلف فى تعقيدها مع التحسين فى الحافز، وتسهيل الاستجابة، والعدوى العاطفية، والتقليد والمحاكاة، ومنافسات التقليد، والتفهم، ونظرية العقل. هذه العمليات تعكس مجموعة من الآليات لتنظيم التمثيل الهرمى للمعلومات، فالعديد من هذه العمليات تظهر فى الأنواع الأخرى، وبالتالى ليس هناك دليل على استمرارية النشوء والتطور، فالهيكل التنظيمى للانعكاس mirroring هو وظيفى أكثر منه تشريحى، لكونه دينامية تعديل على مستوى الفرد، وعلاوة على ذلك، فإن الترابط المتزايد والتعقيد فى الدماغ البشرى يوفر الركيزة الأساسية لأشكال أكثر تعقيدا من النسخ المتطابق أو الانعكاس، مثل التفهم، وبالتالى، ففى مسارات من الاستقبال والإدراك إلى الفعل، انعكاس يوفر القاعدة التأسيسية للمعرفة الاجتماعية[٢٥].

وتم تقديم عدة نماذج رابطة بين المكونات المختلفة التى يرى الباحثون أنها تشترك فى تشكيل التفهم. منها نموذج "فريك" و"ديرمارك" التكاملى[٣٦].

علاقة التفهم بالإيذاء و الجريمة

تثار علاقة التفهم بالجريمة فى السياقات التى تتدخل فيها عوامل نفسية معينة فى إظهار سلوك إجرامى؛ أى فى لحظات التفاعل بين فردين أو أكثر فى موقف حدوث الجريمة، وهل تثار المكونات المختلفة للتفهم، أم أنها تمر مر الكرام، ولا يقف المجرم عند أى من موجهاتها الموقفية Cues ولا يأخذها فى الاعتبار.

إن التفهم فرق من الفروق الفردية يرتبط نظريا بالإمكانية المتزايدة للإيذاء، خاصة الإيذاء الجاد الخطير، على العكس من العلاقة النظرية القوية بينه وبين صدور السلوكيات الإيجابية، ومع ذلك، فهناك افتقار للدليل التجريبى للعلاقة بين التفهم والإيذاء. وهذه الإشكالية كما تحددها العديد من البرامج المصممة لمعالجة

المجرمين أو القائمين بالإيذاء، تتحدد فى افتراض نقص التفهم، ولكى تزداد معرفتنا بالعلاقة بين التفهم والإيذاء فينبغى تطوير أساليب قياسه؛ فعلى الدراسات أن تقدم على استخدام مقاييس أكثر حساسية للإيذاء (مثال: استخدام التقارير الذاتية). كما أن هناك حاجة كبيرة إلى استخدام الدراسات الطولية المستقبلية، أو التى تستشرف العلاقة لتأسيس ما إذا كان نقص التفهم عاملاً مرتبطاً أو عامل خطورة، أو عامل خطورة سببياً للإيذاء. وفى الحالة الثالثة فقط أى فى كونه عامل خطورة سببًا، يمكن للتحسين فى التفهم أن يجعلنا نتوقع التقليل من الإيذاء فى المستقبل.

ونتيجة لأن التفهم تركيب مراوغ، فقد مثّلَ توضيح علاقته بالإيذاء تحدّيا للباحثين لبعض الوقت. وعلى الرغم من الصعوبات التعريفية، فالتفهم أو بالأدق (قلة التفهم) تم النظر له من علماء الجريمة Criminologists على أنه يمتلك صلة بفهم أسباب الجريمة، مثال: ذكر التفهم فى النظريات المؤثرة مثل النظرية العامة للجريمة؛ حيث إن قلة التفهم مفتاح، بل من المحتمل أن يكون هو الصفة التحديدية الحاسمة لمفهوم الانحراف النفسى "السيكوباتية" Psychopathy، فهناك تداخل تصورى بين التفهم ومجموعة كبيرة من العوامل التى ترتبط بتفسير الجريمة، مثل: فقر الإدراك الاجتماعى، وقلة الشعور بالذنب، ونقص الذكاء الوجدانى أو العاطفى، وأخذ المنظور السيىء، وضحالة وضعف الاستدلال الأخلاقى، وربما بأهمية أكثر، تحسين التفهم (من خلال لعب الأدوار، وتمارين اتخاذ المنظور)، وكلها تمت ممارستها فى برامج إعادة تأهيل القائم بالإيذاء، كما أن هناك دليلاً مباشرًا أيضًا على الأهمية المحسوسة التى يضعها علماء الجريمة على التفهم فى فهم الجريمة، ففى مسح ١٩٩٩، وجد عالما الجريمة الأمريكيان "أليس ووالش" أن إجابات (١٤٧) عالما من علماء الجريمة- من واقع سجلات الجمعية الأمريكية لعلم الإجرام - تشير إلى اعتبار وتقدير قلة تفهم قلق الآخرين كأحد أكثر العوامل أهمية وارتباطا بالمجرم الخطير والمثابر، وعند إعادة تطبيق نفس المسح بعد تسع سنوات كان جواب (١٢١٨) منهم بنفس الطريقة، حيث وجد أن قلة التفهم لقلق الآخرين الأكثر تقديرًا فى تفسير

الإصرار على السلوك الإجرامى. وتتعدد صور السلوك الإجرامى التى يشترك فى إحداثها نقص التفهم مثل التحرش، والبلطجة، وكل أشكال الإيذاء التى توجه للآخرين وتصل حتى القتل(٣٧).

ونجد فى سياق "فرض الإيثار المستحث بالتفهم" واحدًا من أكثر المتضمنات المدهشة والمفاجئ- على الأقل لكثير من الناس- وهو أن الإيثار المستحث بالتفهم يمكن أن يقود إلى أفعال غير أخلاقية Immoral، وهذا التضمين مدهش بسبب أن كثيرًا من الناس يساوون بين الإيثار والأخلاقية، وهذا الفرض لا يقوم على ذلك، حيث يشير الإيثار فى هذا الفرض إلى الحالة الدافعية بهدف زيادة خير ورفاهة فرد آخر. وتعنى الأخلاقية فى تعريفاتها القاموسية الالتزام بمبادئ السلوك القويم الصحيح، وأن يكون المرء منسجمًا مع تلك المبادئ؛ والمبادئ الأخلاقية عامة ومجردة، مثل: الحق، والخير، والجمال. وبتطبيق هذه المبادئ على الإيثار والأخلاقية، نجد الإيثار يستقر على نفس قاعدة العلاقة مع الأخلاقية كما تفعل الأنانية، فالنزعة الأنانية للمنفعة الذاتية تقودنى كفرد إلى وضع احتياجاتى ومصالحى بشكل غير عادل فى مقدمة الاحتياجات والمصالح المتوازية مع مصالح الآخرين، والنزعات الإيثارية لمنفعة الآخر يمكن أن تقودنى إلى وضع احتياجات ومصالح ذلك الآخر فى مقدمة المصالح والاحتياجات المتوازية بشكل غير عادل مع مصالح الآخرين، وكلا الفعلين ينتهك المبدأ الأخلاقى المتمثل فى العدالة؛ فالأنانية، والإيثار، والأخلاقية ثلاثة دوافع مستقلة قد يتصارع أحدها مع الآخر، وهذا الأمر أثبتته كثير من الدراسات التجريبية(٣٨).

الجوانب المنهجية واستخدام السجناء كعينات للمنتهكين و المرتكبين للجرائم

قارنت كلّ دراسات التفهم والإساءة- بغرض المراجعة المنظّمة - بين تفهم أولئك المسجونين (كممثلين للمنتهكين)، وبين مجموعة مقارنة متطوعة مناظرة لهم، فالسجناء على الأرجح يكونون مجرمين خطرين، لذا فنقص التفهم يجب أن يكون

أكثر وضوحًا عند مقارنتهم بنظرائهم فى المجتمع. على أية حال، فاستخدام السجناء "كمنتهكين" يقدم فى الحقيقة قليلا جدا من المعلومات حول الصلة المحتملة بين التفهم وإمكانية ارتكاب الجرائم والانتهاكات، فهم بصفتهم سجناء، عينة فريدة ومتحيزة لكلّ أولئك الذين يرتكبون الجرائم. والتعقيد الآخر هو مشكلة مستويات التفهم التى قد تنخفّض فى فترات السجن، هذا يعنى إلى أى حدّ امتلك السجناء تفهمًا ناقصًا أو منخفضًا، وهو الأمر الذى يمكن أن يكون متساوياً مع كونهم سجناء، لأن التفهم المنخفض خاصية ترتبط بأولئك الذين يرتكبون الجرائم الخطيرة، أو الذين يتم إيداعهم بالسجون؛ فهم أناس أقل تفهماً.

ويأتى التساؤل عن الدليل على العلاقة بين التفهم والإيذاء كارتباط أو سبب: عند النظر باهتمام لعلاقة التفهم بالإساءة، فمن المهم تقرير المدى الذى يمكننا عنده أن نستوثق من ارتباط التفهم (بالإيذاء)، أو كونه عامل خطورة (يرتبط بنتائج استمرار الإيذاء)، أو كعامل خطورة سببى للإيذاء (يرتبط به ونتاجه) وأى تغيّر فى التفهم يؤدى إلى تغير فى إمكانية الإساءة.

ونخلص هنا إلى أن الدليل على العلاقة بين التفهم والإساءة ضعيف بسبب ضعف قياس التفهم، وضعف قياس الإيذاء، واستخدام الدراسات التى تهتم بالتفهم لمناهج وتقنيات ومعايير ضعيفة. إلا أنه على الرغم من تقديم البعض لمقترحات التحسين لدراسة هذه العلاقة مثل وجود مقياس واعد (للتفهم الأساسى)، والذى لاقى تأييداً من الدراسات عبر الثقافية، ومحاولات الأخذ بمناهج التقرير الذاتى بالإضافة للمقاييس المختلفة على من أقر بارتكابه حالات البلطجة والتحرش فى عينات مختلفة، والتى أظهرت نتائجها ارتباطا بين التفهم والتقارير الذاتية ذات المستويات المرتفعة عن ارتكاب الجرائم والتحرش بين الذكور والإناث. وارتبط التفهم الوجدانى بالتحرشات الخطيرة للذكور فى فروق فردية أخرى مثل الدرجة الدنيا من الاندفاعية والذكاء، وهذا يتفق تماماً مع الأدلة الناشئة من دراسات مجالات مختلفة من علم النفس تقترح بأن النقص فى التفهم الوجدانى هو ما يميز الإساءات الأكثر خطورة[٣٩].

ويفصل "بارون كوهين" فى كتابه "علم الشرّ" لماذا أصبح بعض الناس لديهم القدرة على القسوة والوحشيّة وما إذا كان "فقد التفهم" له هذه النتيجة حتما. ويذهب فى كتابه أعمق مما ذهب إليه من قبل بالحفر أسفل الأسس الدماغية للتفهم والنظر فى محدداته الاجتماعية والحيوية. كما يذهب فى هذا الكتاب لإلقاء نظرة فاحصة على بعض الحالات الطبية والصحية التى تؤدّى إلى فقد التفهم، وكان هدفه الرئيس هو فهم الوحشيّة والقسوة الإنسانية، واستبدال التعبير غير العلمى "الشرّ" بالاصطلاح العلمى "تفهم". ويقول إن الأعمال غير التفهمية Un-empathic، هى ببساطة نهاية المنحنى الجرسى للتفهم سلبًا، فإذا أردنا استبدال تعبير "شرّ" بالتعبير "تفهم" فيجب علينا أن نفهم التفهم عن قرب. إذ أن الفكرة الرئيسية بأنّنا كلنا نقع فى مكان ما على متصل طيف التفهم (من المستوى المرتفع إلى المستوى المنخفض). فالناس يقولون إنهم أشرار قساة ببساطة فى أحد نهايتى متصل التفهم. فيمكن وضعنا جميعاً على هذا المتصل من الفروق الفردية مستنداً على الكم الذى لدينا من التفهم(٤٠).

محاولات القياس و النمذجة

قدم كل من "أليسون" و"بارون كوهين" وزملائهما تحليلاً قياسيًا نفسيًا للمقياس الذى قدمه وهو نسبة التفهم Empathy Quotient (EQ) مستهدفين قياس مدى بعدية dimensionality تلك النسبة، وذلك باستخدام منحيين إحصائيين للتناول: نموذج راش، والتحليل العاملى التوكيدى (CFA)، ضمت عينة الدراسة (N = 658) ممن تم تشخيصهم كمرضى لطيف التوحد (ASC)، وعدد(١٣٧٥) من أفراد عائلاتهم، وعدد (٣٣٤٤) من الحالات الضابطة النمطية، حيث تمت معالجة البيانات وفق نموذج راش (كمقياس تقدير)، وباستخدام WINSTEPS، مفسراً ٨٣٪ من التباين، وكانت تقديرات الثبات أكثر من ٠.٩٠، وأظهر تحليل الأداء الفارق للبنود (DIF) ثبات البند بين الجنسين. أما تحليل المكونات الأساسية (PCA) من البواقى أظهرت عاملا فاصلا تمثل فى: الموافقة وعدم الموافقة فى استجابة المجموعات الفرعية. واقترح

التحليل العاملى التوكيدى CFA أن ٢٦ بندا نموذجيًا عوامل الاستجابة عليها أفضل إحصاءات مناسبة (RMSEA.05)، .(CFI 0.93) كما وجد أن مقياسًا أقصر يتكون من(15) بندا يمثل نموذجًا ذا ثلاثة عوامل حصل على درجة أوميجا (X) من ٠.٧٧٩، مما يشير إلى عامل الهرمية فى التفهم وراء هذه العوامل الفرعية. وأن نسبة التفهم EQ هى مقياس مناسب لبناء التفهم ويمكن قياسه حسب بعد واحد(٤١).

كما تفحص "ستيفانى، ودافيد ثورنتون" العلاقة بين النموذج متعدّد الأبعاد للتفهم الذى اقترحه ديفيس والنموذج أحادى البعد الذى اقترحه "Eysenck وEysenck"، حيث اقترح التحليل العاملى لوعاء البنود المشتركة بروز خمسة أبعاد متميّزة مفهوميا وغير مرتبطة بشكل كبير للتفهم شمل: اتخاذ المنظور، تفهم الكرب Empathic Concern، التوحد بالشخصيات الخيالية، تفهم الضيق Empathic Distress ومضاهاة الاستجابة العاطفية. وكان مفهوم "أيزنك" و"أيزنك" للتفهم يتعلق أوليا بعامل مضاهاة الاستجابة العاطفية فى حين تعلقت بنود "دافيز" بالعوامل الأخرى. واقترح الباحثون أن السعى نحو فهم التفهم عبر تفعيل الأطر الأكثر شمولية، كإطار العوامل الخمسة الكبرى، ونحتاج المقاييس الموجودة معًا لتعريف التفهم تعريفًا إجرائيًا(٤٢).

هذا وقد قامت بعض الدراسات فى السياق المصرى، والتى تهتم بعلاقة السلوك الاجتماعى الإيجابى بمؤشرات الصحة النفسية، بتقديم مقاييس للتفهم متعددة الأبعاد، وذلك وفقاً لرؤية مؤداها أن الفرد الذى يسلك سلوكًا إيجابيًا نحو الآخرين لابد له من القدرة على تبين وتفهم حالاتهم المعرفية والوجدانية ويمكنه تصور نفسه مكانهم. مع تحديد تصور للقدرة على تفهم الآخرين وكانت لديه القدرة على: تفهم مشاعر الآخرين؛ مع القدرة على تفهم وجهات نظرهم وآرائهم؛ والقدرة على اتخاذ منظورهم، وقد زاد الباحثون على هذه المجالات قدراً من التفصيل بداخل فئاتها بحيث تشتمل على تنويعات مختلفة تعبر عن القدرة النوعية. وقد افترض الباحثون أن التفهم يشتمل على مكونات عدة يمكن للفرد أن يكوّن رأيه فيمن يتعامل معه من الآخرين وخاصة

عند اتخاذ قرار المساعدة وغيرها من القرارات التى تحددها مواقف التفاعل، وتتفاعل مع مجموعة ما يمتلكه من سمات، وبالتالى تساعده على تبين حالات الآخر المختلفة وتفهمها. وقد تم الاستقرار على المكونات النوعية التالية: تفهم المشاعر [حزن، فرح، غضب، ارتياح]، تفهم وجهات النظر [المخالفة، المتفقة، المجهولة]، اتخاذ منظور الآخر ووضعه [سلطة أعلى، سلطة أدنى] وقد أثبتت الدراسة صدق وثبات المكونات المختلفة بدرجات مرضية، وأثرت فى النتائج كعامل إيجابى لظهور السلوك الاجتماعى الإيجابى وأشكاله المختلفة [المساعدة، المشاركة، الإيثار، التسامح].

وقد كشفت نتائج التحليل العاملى من الدرجة الأولى عن انتظام المكونات الثلاثة حول عامل عام واحد ونقى، أحادى القطب يمكن تسميته" عامل التفهم" استوعب (٨١,٩١٪) من التباين الكلى، بجذر كامن بلغ (٢,٤٥)، وبهذا يتضح أننا بصدد مقياس يتسم بالصدق العاملى، ومن ثم فإن الخطوات التى اتبعها الباحثون لتقدير صدق مقياس التفهم، سواء عن طريق التحليل المنطقى، أو الاتساق الداخلى أو حساب صدق المحتوى، وحساب الصدق العاملى، والحصول على انتظام المكونات الأربع المفترضة لتكوين مفهوم السلوك الاجتماعى الإيجابى فى عامل واحد، يمكن تسميته "عامل التفهم" مما يعد مؤشراً قوياً على صدق مقياس التفهم، وبالتالى إمكانية التعامل معه على أنه تكوين فرضى أحادى البعد[٤٣].

وامتدادا للمتغيرات الحاكمة لظهور السلوك الإيجابى بكل أشكاله فقد قام بعض الباحثين بتطوير مقياس التفهم، حيث كان يقيس التفهم فى أربعة سياقات، وفقاً لرؤية مؤداها أن الفرد الذى يسلك سلوكاً إيجابياً نحو الآخرين ويتسامح معهم لابد له من القدرة على تبين وتفهم حالاتهم المعرفية والوجدانية ويمكنه تصور نفسه مكانهم. وقاموا بعدة خطوات لإعادة بناء المقياس كالآتى: توسيع تصور القدرة على تفهم الآخرين فكانت لديهم: [القدرة على تفهم مشاعر الآخرين السلبية، والإيجابية، والقدرة على تفهم وجهات نظرهم وآرائهم؛ والقدرة على اتخاذ منظورهم؛ والتفهم الثقافى؛ والوعى بالتفهم]، وقد أدخلوا على هذه المجالات قدراً من التفصيل بداخل فئاتها بحيث

تشتمل على تنويعات مختلفة تعبر عن القدرة النوعية. وبذلك يكون عدد البنود فى السياق الواحد (٢٠) بنداً بمجموع (٤٠ بندًا) فى المقياس الكلى على النحو التالى: تفهم المشاعر (٨ بنود)، والتفهم المعرفى (١٠ بنود)، والتفهم الثقافى (١٦ بندا)، الوعى بالتفهم (٦بنود). و اتضح بعد إجراء المعالجات الإحصائية اللازمة، الارتباط القوى، والدال بين البنود وما تكونه من مقاييس فرعية للتفهم، مما يشير لاتساقها رغم اختلاف سياق حدوثها. ويعد مؤشراً على درجة صدق عالية، كما ظهرت مؤشرات الثبات مرضية باستخدام التجزئة النصفية، وألفا "لكرونباخ" حيث بلغت ٠,٨٩، كما كشفت نتائج التحليل العاملى من الدرجة الأولى عن انتظام المكونات الثلاثة حول عامل عام واحد ونقى، أحادى القطب يمكن تسميته "عامل التفهم" استوعب (٥٦.٦٧٦٪) من التباين الكلى، بجذر كامن بلغ (٣,٤٠١) ، وقيم شيوع تتراوح بين (٥٦,٦٧٦، و١٠٠) وبهذا يتضح أننا بصدد مقياس يتسم بالصدق العاملى، ومن ثم فإن الخطوات التى اتبعها الباحثون لتقدير صدق مقياس التفهم سواء عن طريق التحليل المنطقى، أو الاتساق الداخلى أو حساب صدق المحتوى، وحساب الصدق العاملى، والحصول على انتظام المكونات الأربع المفترضة لتكوين مفهوم السلوك الاجتماعى الإيجابى فى عامل واحد، يمكن تسميته "عامل التفهم" وثبت أيضاً من نتائج الدراسة ارتباطه بالتسامح بمكوناته كعامل مساعد وسبب دافعى له(٤٤).

هذا ولم يتنام لعلم الباحث وجود توجهات تطبيقية لهذا الموضوع فى السياق التطبيقى سواء فى العيادات أو السجون أو المؤسسات الإصلاحية، اللهم بعض التطبيقات فى سياق التدريبات العلاجية للأطفال المصنفين ضمن طيف التوحد. وهذا الأمر (الاهتمام بالعلاقات المركبة للتفهم) من شأنه أن يقدم رافدًا سلوكيًا يحل به إشكالية اللجوء للجريمة كحل للمشكلات بين الأفراد، أو لتنمية بعض المهارات لدى الأبناء الصغار، والتى تصب فى النهاية فى رعاية الارتقاء السوى للأبناء.

خاتمة

يتضح مما سبق أن الجهود العلمية متلاحقة التطور فى فهم الأدوار التى يقوم بها التفهم فى تجسير العلاقة بين الأنا والآخر قد فتحت لنا طريقًا منيرًا لمعرفة الأدوار التى يقوم بها فى حالتى التصرف الإيجابى، وكذلك التعامل غير الأخلاقى والإيذاء والجريمة فى الطرف الآخر من المتصل بين الأنا والآخر، والأمر يحتاج لمزيد من الدراسات حتى يستبين لنا الأمر على مزيد من الدقة والمتانة المنهجية التى تجعل من سعينا مجديًا لتحسين حياة الناس، فلو صدقت فروض اعتبار التفهم عامل ترجيح للسلوكيات الإيجابية، أو عامل خطورة سببى يمكن التعامل معه بالتقليل منه فى برامج تعليم التفهم لتمكنا- بصورة أو أخرى- من التنبؤ والتحكم فى السلوك الإيجابى برفع درجات احتمال صدوره بين الأفراد باتخاذ إجراءات تنشيطية للمكونات الموجهة له. وكذلك التحكم فى السلوك الإجرامى بزيادة فرص اقتناص الموجهات الموقفية، وتنشيط الاستعدادات والطاقات الاستعدادية وراثيًا فى الدماغ البشرى وتوحيد آليات عملها ليتحقق للفرد التناغم اللازم مع الآخرين بلا إيذاء، أو صراعات.

وعند الحديث عن التفهم لا تنتهى التساؤلات وتثار العديد من القضايا المتصلة بشبكة علاقاته بالمكونات السلوكية والاجتماعية والثقافية والبيولوجية، وهو ما نوجزها فيما يلى:

دور التفهم فى دراسة الجوانب الإيجابية

تكمن المساهمات الأساسية لكثير من الدراسات فى تقييم الأبعاد المتعدّدة للتفهم مع الاعتبار اللازم للفحص والقياس المتأن، كيف لمكون معين من مكونات التفهم أن يتعلّق بقياس وتقدير صارم وذى معنى لسلوك المساعدة. وبفحص أى من المكونات الشائعة للتفهم والتى منها: القدرة على أخذ المنظور، والقدرة على تفهم كرب وقلق الآخر، والميل إلى التقرير الذاتى عن المساعدة، فى علاقات المساعدة الإيجابية.

ظهر من العديد من الدراسات تميزا للقدرة على أخذ المنظور (كأحد مكونات التفهم) فى الارتباط مع سلوك المساعدة بشكل واضح؛ فكان المشاركون ذوو القدرة العالية على أخذ المنظور هم الأكثر ظهورا فى الميل لتقديم المساعدة الإيجابية، وكانت هذه العلاقة قوية حتى مع ضبط تحيز المرغوبية الاجتماعية لديهم، وضبط عاداتهم المألوفة، ونوعهم الاجتماعى، والاعتقادات حول شرعية مقاييس المساعدة الإيجابية، والمثير للانتباه هنا أن الميل للتقرير الذاتى من المبحوثين عن أخذ المنظور للمساعدة، لم يرتبط بسلوك المساعدة لديهم، على الرغم من العلاقة القوية بين قدرة أخذ المنظور الملحوظة والسلوك الاجتماعى الإيجابى Prosocial، حيث تؤكّد نتائج العديد من الدراسات أهمية تقييم التفهم كتركيب متعدّد الأبعاد، ولا يعتمد على قياسات الميل إلى التقرير الذاتى كأساس أولى فى قياس التفهم[٤٥].

علاقة التفهم بالدين و الأخلاق

يشترك الدين والأخلاق فى علاقتهما بالسلوك الاجتماعى الإيجابى أو السلبى، ويشتبكان Interwoven فعليًا معه فى شتى مناحى حياة الناس على مختلف المستويات، وكذلك علاقته بالمكونات التأسيسية والتأثر بالقوى الشخصية، والمعرفية، والاجتماعية للأفراد فى سلوكياتهم تجاه بعضهم البعض. مما يشير للأهمية الكبيرة لدور الأخلاق والدين فى السلوك الاجتماعى الإيجابى، والامتناع الإرادى عن اقتراف السلوك السلبى التى قد تصل لممارسة الإرهاب على الأفراد الآخرين، إرضاءً لاتباع مبادئ أخلاقية ودينية يعدها ملزمة له، وهى نتيجة ما تزال قيد البحث، ولا ينتهى الجدل بشأنها.

دور التفهم فى السلوك الإيجابى والسلبى على شبكة الإنترنت

ويظهر هذا الدور فى كيفية إتاحة شبكة الإنترنت فرصًا كبيرة للأفراد للاشتراك فى أنشطة اجتماعية معتبرة، كما تعطى فرصًا للتنظير حول من يشترك فى تلك الأنشطة، ودوافعهم فى ذلك، كما تشير هذه القضية إلى فرص دراسة ذلك على نطاق

واسع من الوسائط والسياقات الإليكترونية، وذلك للتعرف على توجهات سلوكهم نحو المساعدة، لفئات بعينها والتبرع لهم، ومحاولات التأييد والمناصرة التى يقوم بها الأفراد لبعضهم البعض، أو لبعض المؤسسات الخيرية العامة، أو حتى قضايا عالمية معينة يؤمنون بها، أو إلى ارتكاب أفعال من شأنها الضرر فيما يعد واقعًا تحت طائلة التجريم؛ باقتراف جرائم الإنترنت بأشكالها المختلفة، فلو أخذ المرء منظور الضحايا لكان من المحتمل لقراره فى إضرارهم أن يقل بدرجة ملحوظة.

قضية اختزال الفعل الإنسانى فى تجهيزاته البيولوجية الأساسية

تثار قضية علاقة التفهم بالجوانب البيولوجية والاستعدادية فى الدماغ البشرى؛ فقد أظهرت التطورات الحديثة وباستخدام أساليب متطورة لرسم ورصد النشاط الدماغى وجود ثبات واستقرار دال فى تنشيط مناطق متعددة بعينها أثناء التفهم بأشكاله المختلفة، فقد أثبتت الدراسات المتعددة ثبات تنشيط المناطق التى يعتقد – إلى حد كبير– أنها مسئولة عن صدور الأفعال المتأثرة بالتفهم. والأمر يتضح لو استخدمنا أساليب مبتكرة لتجميع نتائج تلك الدراسات بعمل تحليل بعدى Meta-analysis متعدد MKDA بهدف الوصول للمشتركات بطريقة شاملة للحكم على ثبات صدور التنشيط فى تلك المناطق الدماغية، حيث تظهر مختلف مناطق الدماغِ تنشيطًا ثابتًا عبر كُلّ دراسات التفهم، بمستوى دال يتخطى ٠.٠٠٥[٤٦]، كما تتم المقارنة بين أشكال التفهم المتعلقة بالاستقبال الوجدانى، والمعرفى التقويمى، بين مناطقِ الدماغِ التى نشطت بثبات فى تلك المناطق، وتظهر دلالة مُرضية لثبات التنشيط [٤٧].

فالثابت هنا، وفق هذه النتائج، أن هناك تخصيصاً فى ظل التكامل الشبكى فى الدماغ، إلا أن ذلك لا يعد بمثابة تصريح واضح بالسلوك فى اتجاه معين، إذ أنها لا تعدو أن تكون من بين التجهيزات التى يجهز بها الإنسان لاتخاذ القرار المناسب حسب عدد كبير من المتغيرات، فلا نختزل السلوك الظاهر بالعودة به إلى تلك البنى التحتية البيولوجية، ونتغاضى عن مختلف البنى النفسية، والاجتماعية، والثقافية،

والاقتصادية، وغيرها والتى تشكل معاً أساس توجيه السلوك لديه فهى ليست عملية آلية.

ويتضح الأمر لو أن ما نناقشه يختص بارتكاب جريمة ما أو ارتكاب انتهاك ما لمصالح الآخرين، كما يحاول بعض الباحثين رد الانحراف الاجتماعى والنفسى (السيكوباتية، والسوسيوباثية) إلى نقص التفهم، فليس المطلوب فقط أن ترد أسباب ارتكاب الجرائم لتلك الخاصية البيولوجية، ولكن فى ملابسات كثيرة، من ضمنها الظروف البيولوجية، تؤدى بالفرد لذلك السلوك، والأمر هنا يدعونا لسلوك مسارات جديدة فى علم الإجرام، بأخذ تلك المستحدثات فى الاعتبار لتحديد المسئوليات الفردية عن ارتكاب سلوك غير شرعى ما. وما يمكن اعتباره عوامل تخفيف أو تشديد العقوبات (الظروف المخففة، والظروف المشددة للعقاب)، لهذا وجب على الباحثين ابتكار أساليب جيدة للتفريق بين الاستعداد أو الإمكانية الكامنة للفعل، وبين السلوك الظاهر الصريح والمتحقق واقعياً، لاتخاذ الإجراءات الشرعية والقانونية تجاهها.

وما يمكن فهمه هنا أن القدرات البيولوجية الكامنة تقع ضمن الاستعدادات التى تهيئ للذهن وصول المعلومات والمنبهات الخارجية – على تنوعها– بأقصى قدر من الوضوح لمراكز التقدير والتقويم، والتهيؤ لاتخاذ قرار السلوك مع متابعة تبعاته، وليس عملية آلية؛ ما أن يرى التنبيه حتى يقوم بالاستجابة فى اتجاه معين حسب تقديره، وذلك حفاظاً على سلامة الحكم على العلاقة المنطقية بين الفعل والمسئولية عنه، فلو أُجبر الشخص على السلوك لما تحمل المسئولية.

قضية الجوانب المنهجية

بالإضافة لتجويد أساليب التقدير والقياس، وتأسيس فهم نظرى معتبر، ونمذجة سلوكية تتصف بالإحاطة، نجد أن استخدام عينات متحيزة من الأخطاء الكبيرة لإثبات فرضيات – حتى وإن بدت منطقية– فالمقارنات بين المسجونين مثلاً والطلقاء فى المجتمع تحمل معنيين، أولاها أن المسجون ليس لديه بدائل أخرى غير ارتكاب

الانتهاك الذى تم على يديه، وأنه بذلك يكون ناقص التفهم عن غيره، ولا يعطى الاعتبارات اللازمة للأسباب والظروف المختلفة التى تدفعه لذلك، بما يسمى تشكيل صورة الفعل الإجرامى أمام القاضى. ومن ناحية ثانية يفترض فى استخدام عينات من الموجودين فى المجتمع أن لديهم القدرة كاملة وليست ناقصة كالمسجونين، وهو افتراض ليس صحيحًا أيضًا، لأن وجود درجات مختلفة من نفس القدرة يعد من الأمور التى تتوزع اعتدالياً بين الجميع فى المجتمع، وبالتالى وجب الحذر من استخدام عينات متحيزة، والتحرى الجيد عن جودة تمثيل العينات التى نحكم من خلال التطبيق عليها بأدواتنا – المفترض جودة إعدادها من حيث الصدق والثبات– فى قضايا كبيرة تؤثر على فهمنا للإنسان، ومقدار تمتعه بتلك القدرات بكل دقة.

المراجع

١- Batson, C.D. ; Klien, T.R.; Highberger, L. and Shaw, L., Immorality from Empathy-Induced Altruism: When Compassion and Justice Conflict, Journal of Personality and Social Psychology, 1995, Vol. 68, No. 6, pp.1024-1054.

ويمكن الرجوع لعدد من المصادر المرجعية مثل:

Batson, C.D. ; Sager, K.; Gast, E.; Kang, M.; Rubchensky, K. and Dawson, K., Is Empathy- Induced Helping Due to Self-Other Merging? Journal of Personality and Social Psychology, 1997, Vol. 73, No. 3, pp.495-509.

Eisenberg, N. & Lennon, R., Altruism and the Assessment of Empathy in the Preschool Child ,1980, Child Development, vol. 51, pp. 552-557.

Eisenberg, N.;Wentzel, N.M. and Harris, J. D., The Role of Emotion and Regulation in Empathy- Related Responding, The School-Psychology Review, 1998,Vol. 27, No. 4, pp.506-521.

٢- لسان العرب لابن منظور المجلد الخامس، الجزء ٣٧، باب الفاء والهاء والميم (فهم)، ص٣٤٨١.

٣- محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٩، ص٥١٣.

٤- مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٩٤، ص ٤٨٣.

٥- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان،١٩٨٦، ص١٣١.

٦- مصلح الصالح، الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزى/عربى مع تعريف وشرح المصطلحات، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ١٨٧.

٧- جابر عبد الحميد، علاء الدين كفافى، معجم علم النفس والطب النفسى، القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٩٠، جزء٣.

٨- Bar-Tal, D., Pro-social behavior, In: Murray, T., (Ed) The Encyclopedia of human Development & Education, Oxford, Pergamon press, 1990, pp. 427-431.

٩- Staub, E., Positive Social Behavior and Morality, New York, Academic Press, 1979, Vol. 2.

١٠- Johnson, J. A., Cheek, J. M., & Smithey, R. , The structure of Empathy, Journal of Personality and Social Psychology, 1983,Vol. 45, pp.1299-1312.

١١- Matsumoto, D. (ed.),The Cambridge Dictionary of Psychology, Cambridge University Press, 2009, p.180.

١٢- Bach, M.F., Empathic Understanding: A Review of Concept and some Ttheoretical Considerations, Journal of The American Psychoanalytic Association, Vol. 31, No. 1, 1983, pp. 101- 126.

١٣- جلال الدين الغازى، مهارات الممارسة فى العمل الاجتماعى، الاسكندرية، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية،١٩٩٩، ص١٤٣.

١٤- Hoffman, M.L., Development of Prosocial Motivation: Empathy and Guilt, In: N. Eisenberg-Berg (ed.) The Development of Prosocial Behavior, New York, Academic Press, 1982, pp. 281-311.

١٥- Labsly, D.K. , Moral Psychology, Colorado, Westview Press,1996, p182.

١٦- Hoffman, M.L., op. cit., p.286.

١٧- Ibid, p.288.

١٨- Labsly, op. cit., p.183.

١٩- Eisenberg, et. al., The Role of Emotion and Regulation in Empathy- Related Responding. The School-Psychology Review, 1998,Vol. 27, No. 4, pp.506-521.

٢٠- Golman, D. Working With Emotional Intelligence, London, Bloomsbury,1999, pp. 322-323.

٢١- Yarrow, M.R.; Zahn-Waxler, C.; Chapman, M., Children's Prosocial Disposition and Behavior, In: Paul Mussen (ed.) Handbook of Child Psychology, New York, John Wily & Sons, 1983, Vol., IV., p. 491.

٢٢- Batson, et. al., Is Empathy- Induced Helping Due to Self-Other Merging? Journal of Personality and Social Psychology, 1997, Vol. 73, No. 3, Pp.495-509.

٢٣- Ibid.

٢٤- Yarrow, et. al., Op. cit., pp.491.

٢٥- Labsly, D.K. , Op. cit., pp.186.

٢٦- أحمد حسين الشافعى، سلوك المعاضدة الاجتماعية وعلاقته بالقيم والحاجات الاجتماعية ودافعيتى التواد والقوة لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، بقسم علم النفس، بكلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٦، ص ٦٦.

٢٧- Leith M., Karen P., Baumeister Roy F., Empathy, Shame, Guilt, and at Better Are People Guilt-Prone Narratives of Interpersonal Conflicts: Journal of Personality, 1998, Vol. 66, Issue 1, pp. Willy, Perspective Taking, 1–37.

٢٨- SMITH, S. M., Overview of fMRI analysis, The British Journal of Radiology, The British Institute of Radiology, 2004, Vol. 77.

٢٩- Svetlovab, Margarita, Putting Together Phylogenetic and Ontogenetic Perspectives on Empathy Developmental, Cognitive Neuroscience, 2, 2012, pp. 1- 24.

٣٠- Franks D.D, Mirror Neurons, A Return to Pragmatism and Implications for an Embodied Inter-subjectivity, IN: David D. Franks, Neurosociology: The Nexus Between Neuroscience and Social Psychology, Springer, 2010, pp. 85-104.

٣١- Ibid. pp. 85-104.

٣٢- Ibid. pp. 85-104.

٣٣- http://neuroelf.net/wiki/doku.php?id=mkda

٣٤- Yan Fan, Niall W. Duncan, Moritz de Greck, Georg Northoff, Is there a core Neural Network in Empathy? An fMRI based quantitative meta-analysis, Neuroscience and Biobehavioral Reviews, 35, 2011, pp. 903–911.

٣٥- Pineda J. A., Moore A. Roxanne, Hanie Elfenbeinand, and Roy Cox, Hierarchically Organized Mirroring Processes In Social Cognition: The Functional Neuroanatomy of Empathy J.A. Pineda (ed.), Mirror Neuron Systems, Humana Press, New York, 2009, pp. 135-160.

٣٦- Vreeke, G.J, Van der Mark, I.L., Empathy, An Integrative Model, New Ideas in Psychology, Vol. 21, 2003, Pp.177–207.

٣٧- Darrick Jolliffe, Empathy and Offending, In: Gerben Bruinsma, David Weisburd (eds.), Encyclopedia of Criminology and Criminal Justice, Springer New York Heidelberg, 2014, pp. 1338-1342.

٣٨- Batson, C.D., Ahmed, Nadia, Stocks E. L. , Benefits and liabilities of empathy-induced altruism, IN: Arthur G. Miller, The Social Psychology of Good and Evil,2004,The Guilford Press, pp.357-385.

ويمكن الرجوع لدراسة " باتسون، وموران" التالية:

Batson, C. D., & Moran, T., Empathy-Induced Altruism in a Prisoner's Dilemma. European Journal of Social Psychology, 1999,Vol.29, pp. 909–924.

٣٩- Darrick Jolliffe, op.cit., pp. 1338-1342.

٤٠- Baron- Cohen, Simon, Science of Evil: On Empathy and the Origins of Cruelty , Basic books , 2011, pp.15-42.

٤١- Allison C., S. Baron-Cohen, S.J. Wheelwright, M.H. Stone, S.J. Muncer, Personality and Psychometric Analysis of the Empathy Quotient (EQ) Individual Differences Vol.51,2011, pp. 829–835.

٤٢- Stephanie Thornton & David Thornton, Development of Empathy, Child Development, 1995, Vol. 19. No. 5. pp. 765-161.

٤٣- شحاتة زيان، بعض أشكال السلوك الاجتماعى الإيجابى وعلاقتها بمؤشرات الصحة النفسية: دراسة استطلاعية ارتقائية مقارنة: رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف، أ.د. علاء الدين كفافى، وأ. د. مايسة النيال، جامعة القاهرة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، قسم الإرشاد النفسى،٢٠٠١، ص ص ١١٨-١٢٣.

٤٤- شحاتة زيان، التسامح وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلبة المرحلتين الثانوية والجامعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، بإشراف، أ.د. علاء الدين كفافى، وأ. د. مايسة النيال، جامعة القاهرة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، قسم الإرشاد النفسى،٢٠٠٥، ص ص ١٠٨-١١٦.

٤٥- Stout, W., What Dimensions of Empathy Predict Pro-social Helping Behavior in Emerging Adulthood? The Relationships Between Volunteering to Help and Perspective-Taking Ability, Experience of Empathic Concern, and Self-Report Journal of Interdisciplinary Graduate Empathic Inclinations, Research,2016,Vol. 1, Article 1.

Available at: http://knowledge.e.southern.edu/jigr/vol1/iss1/1

٤٦- Yan Fan, Niall, Duncan, W. Moritz de Greck, Georg Northoff, Is There a Core Neural Network in Empathy? An fMRI Based Quantitative Meta-Analysis, Neuroscience and Biobehavioral Reviews, 2011,Vol. 35, pp. 903–911.

٤٧- Ibid , pp. 903–911

Abstract

HUMAN EMPATHY: A BRIDGE TOWARD OTHERS

FOR BENEFIT AND HARM

Shehata Zayan

Attempting to reach a satisfactory explanation for the interlocking relationships between the self and the other, A long way from the transitions and contributions of science and Intellectual frameworks. It was an obsession for all thinkers and scientists since the early periods of science, prompting them to adopt many of these theoretical explanatory concepts. Between those concepts, concept of "Empathy" that was began in the non-social and psychological contexts, and moved to them to reach for convincing explanations. It walked in a long journey, from handling its biological roots, and trying to link it with the other human benefit and harm. The aim of this paper is to illustrate the various efforts in this journey, and its application in the social and criminal fields .